
قيام الليل
في سورة المزمل
مناضل حسين علي



ان النفوس

لتصفو في الليل وترنو الى هدوء الطبيعة وقد لفها السكون وتراءت النجوم في سماءها متالقةً وضاءة مما يطلق النفس من قيودها التي سببها ضجيج العمل وزحمة العيش , فيجعلها تهفو الى خالقها مقدسةً له مسبحةً بحمده وممجدةً لعظمته

Email: eng.munadhel@gmail.com
Facebook : ابو فراس النعيمي

قيام الليل
في سورة المزمل

مناضل حسين علي

١٤٣٦ ٢٠١٥

المطبعة المركزية / جامعة ديالى

العراق – ديالى طريق بغداد / بعقوبة القديم



اسم الكتاب : قيام الليل في سورة المزمل

المؤلف: ابو فراس النعيمي

عدد النسخ: ٤٠٠

تنفيذ: المطبعة المركزية / جامعة ديالى

سنة الطبع: ٢٠١٥ م – ١٤٣٦ هـ

الطبعة :ـ الاولى

الايميل: central_printing2008@yahoo.com

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق الوطنية ببغداد (٧٢٢) لسنة (٢٠١٥)

المقدمـــــــة

الحمد لله يكافئ مزيدًا من فضله وإحسانه، الحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد ﷺ سيد المستغفرين وسيد المتضرعين وعلى أله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

رَغّبَ القرآن الكريم بالصلاة في جوف الليل ، وبين أن المحافظين على الصلاة في الليل هم المستحقون لخيره ورحمته، فقال ﷻ ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ۞ آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ۞ كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ۞ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ ۞ [1] **والحكمة من الترغيب بصلاة قيام الليل هو أن النفوس تصفو في هذا الوقت وترنوا الى اجتلاء الطبيعة في مجتلاها الرحب وقد لَفَها السكون وتراءت النجوم في سمائها متألقة وضاءة مما يطلق النفس من قيودها التي سببها ضجت العمل وزحمة العيش مما يجعلها تهفو الى خالقها مقدسة له مسبحة بحمده ممجدة لعظمته وما يتبع ذلك من إصلاح النفس وتزكيتها وإسباغ الطمأنينة عليها.**

روي ان الرسول ﷺ كان يقوم للصلاة في الليل إذا انتصف أو قبله أو بعده بقليل ، وكان عندما يستيقظ يستاك ويتوضأ ويقرا هذه الآيات التي فيها الدلائل على وجود الله وقدرته والتي تفجر الإحساس الروحي في قلب الانسان ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُوْلِي الألْبَابِ ۞ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ۞[2]

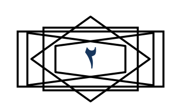
---

[1] . سورة الذاريات ، الايات ١٥ – ١٨)

[2] . سورة آل عمران ، الايات ١٩٠ – ١٩١.

ولا جرم إن رسول الله ﷺ قد تشمر لقيام الليل مع أصحابه حق التشمر وأقبلوا على إحياء لياليهم ورفضوا الرقاد وتجاهدوا فيه حتى انتفخت أقدامهم واصفرت ألوانهم وظهرت السيمى في وجوههم (الخط الاسود على الخد من أثر البكاء) وترامى أمرهم إلى حد رحمهم ربهم فخفف عنهم. هذا وان تمسك العباد الصالحين بهذه السنة المحببة للنفس لدليل قاطع على الأيمان الراسخ وعلى الحب والشوق لطاعة الله تبارك وتعالى فهي تزيد الجسم قوة وفاعلية وتمده بالنشاط والحيوية، وهو ما دأب إليه الصالحون في تعاملهم في أحياء الليل وهم يحاولون ما وجدوا اليه سبيلا أَن يطبقوا سنة المصطفى ﷺ . وان النفوس لتربى كما يربى الرجال، من استطاع أن يكف نفسه عن المعاصي والشهوات فهو رجل مؤمن قوي ومن غلبته شهوته ونفسه فهو ضعيف الايمان ضعيف الشخصية.

واخيرًا نرجو ان يكون عملنا هذا خالصًا لوجهه الله ﷻ ، وان يجعله نورًا بين يدي يوم لا نور الا نوره، وأكرِم بمثل ذلك والديّ واهلي ومن اعانني على انجاز هذا العمل والمسلمين, واكرمني من القراء الكرام بدعوة مستجابة عندك، امين وصلّ اللهم على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم.



بين يدي السورة

أسباب النزول:

روى البخاري في صحيحه عن جابر بن عبد الله ﷺ قال: سمعت النبي ﷺ وهو يحدث عن فترة الوحي فقال في حديثه (.......فبينما أنا امشي إذ سمعت صوتا من السماء فرفعت رأسي فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض فجئت (فزعت) منه رعبا فرجعت فقلت زملوني زملوني فدثروني وفي رواية فزملوني فأنزل الله تعالى (يأأيها المدثر) وفي رواية قال المفسرون وعلى أثرها نزلت (يأأيها المزمل)[1].

ويروى أيضا في نزول هذه ألسوره إن قريشا اجتمعت في دار الندوة تدبر كيدها للنبي ﷺ وللدعوة التي جاءهم بها، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فاغتم والتف بثيابه وتزمل ونام مهمومًا، فجاءه جبريل عليه السلام بشطر هذه السورة الأول (يأأيها المزمل....إلى قوله تعالى إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاء اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً) المزمل الاية (١-١٩)، وتأخر شطر السورة الثاني ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْراً وَأَعْظَمَ أَجْراً وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[2] عاما كاملا حين قام رسول الله ﷺ وطائفة من الذين معه حتى تورمت أقدامهم فنزل التخفيف في الشطر الثاني بعد اثني عشر شهرا .[3]

---

١ صفوة البيان_ حسنين محمد مخلوف

٢. سورة المزمل ، الاية ٢٠.

٣ . في ظلال القرآن _ سيد قطب

وعن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر قال :_اجتمعت قريش في دار الندوة فقالوا :_سموا هذا الرجل اسما يضد الناس فقالوا :كاهن، قالوا: ليس بكاهن، قالوا:_ مجنون، قالوا :_ليس بمجنون، قالوا :_ساحر، قالوا: ليس بساحر، فتفرق المشركون على ذلك فبلغ النبي ﷺ فتزمل بثيابه وتدثر فيها فأتاه جبريل عليه السلام فقال (يا أيها المزمل)(ياأيها المدثر).[١]

الناسخ والمنسوخ

تأخر نزول شطر السورة الثاني من قوله تعالى (أن ربك يعلم انك تقوم أدنى من ثلثي الليل ......) عاما كاملا حين قام رسول الله ﷺ وطائفة من الذين معه حتى ورمت أقدامهم فنزل التخفيف في الشطر الثاني بعد اثني عشر شهرا [٢].

وروى زرارة بن أوفى عن سعد بن هشام قال قلت لعائشة (رضي الله عنها) أنبئيني عن قيام رسول الله ﷺ ' قالت أما تقرا هذه السورة (يأأيها المزمل قم الليل إلا قليلا). قلت: بلى، قالت: فأن الله افترض القيام في أول هذه السورة، فقام النبي ﷺ وأصحابه حتى انتفخت أقدامهم وامسك الله تعالى خاتمتها اثني عشر شهرا ثم انزل التخفيف في أخر السورة فصار قيام الليل تطوعا بعد ان كان فريضة. وقيل أنها نزلت بمكة وفيها من المنسوخ ست آيات، الآية الأولى قوله تعالى (يأأيها المزمل قم الليل إلا قليلا) ثم نسخ القليل منه بنصفه فقال أو انقص منه قليلا إلى الثلث فنسخ الله من الليل ثلثه، ثم قال اوزد عليه أي في نصف الثلث ونسخ الآية الثانية قوله تعالى (إنا سنلقي عليك قولا ثقيلا) ثم قال عز وجل (يريد الله ان يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفا)، الآية الثالثة قوله تعالى (واهجرهم هجرا جميلا) نسخ ذلك باية السيف، الآية الخامسة قوله تعالى (إن هذه تذكرة) هذا

---

١ . تفسير القران العظيم_ابن كثير

٢ . في ظلال القران :–سيد قطب

محكم ثم قال (فمن شاء أتخذ إلى ربه سبيلا) نسخ الله تعالى ذلك بقوله (وما تشاؤون إلا إن يشاء الله) وقال معظم المفسرين نسخ أخر المزمل أولها [1].

المكي والمدني

قيل ان سورة المزمل مكية الا الآيات ١٠،١١،١٢ فمدنية. وآياتها عشرين اية، وانها نزلت بعد سورة القلم[2]. روي في تفسير ابن عباس ﵄ انها مكية، غير قوله (وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلاً) فأنها مدنية، وان عدد كلماتها(٢٨٥) كلمة وعدد حروفها (٨٣٨) حرف[3] وذكر انها مدنية وقيل بعضها وفي بعضها مكي[4] وذكر أيضا أنها سورة مكية إلا الآية (٢٠) فمدنية وان عدد آياتها (٢٠) أية.

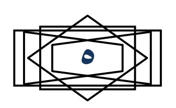
---

١ . أسباب النزول وبهامشه الناسخ المنسوخ :الو احدي

٢ . الكشاف _الزمخشري

[3] . تنوير المقياس من تفسير ابن عباس

٤ . مجمع البيان في تفسير القران _الطبرسي

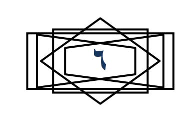


الأحكام المستنبطة من السورة

أحكام سورة المز مل:_

قولـه تعالى (يَـا أَيُّهَـا المزمـل{١} قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلاً)، روى زرارة بـن أوفـى عن سعد بن هشام قال:- قلت لعائشة (رضي الله عنها) أنبئيني عن قيام رسول الله ﷺ ؟ قالت:-أما تقرأ هذه السورة (يَا أَيُّهَا المزمل{١} قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلاً)، قلت :-بلى قالت:-فان الله تعالى افترض القيام في أول هذه السورة، فقام النبي ﷺ وأصحابه حتى انتفخت أقدامهم وامسك الله تعالى خاتمتها اثني عشر شهرا ثم انزل التخفيف في أخر السورة فصار قيام الليل تطوعا بعد إن كان فريضة، قال ابن عباس رضي الله عنه لما نزلت أول المزمل كانوا يقومون نحو قيامهم في شهر رمضان حتى نزل أخرها وكان بين نزول أولها وأخرها نحو سنة وقوله تعالى(ورتل القران ترتيلا) قال ابن عباس رضي الله عنه بينه تبيينا.

وقال طاووس:(بينـه حتى تفهمـه وقـال مجاهد :-وآل بعضـه علـى اثـر بعض على تؤده. وقال ابو بكر:_لا خلاف بين المسلمين في نسخ فرض قيام الليل وانـه مندوب إليه فرغب فيه وقد روي عن النبي ﷺ أثار كثيرة في الحث عليه والترغيب فيه. روى ابن عمر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: _أحب الصلاة إلى الله صلاة داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه واحب الصيام الى الله صيام داود كان يصوم يوما ويفطر يوما. وروي عن النبي ﷺ كان يصلي بالليل ثمان ركعات حتى اذا انفجر عمود الصبح اوتر بثلاث ركعات ثم سبح وكبر حتى إذا انفجر الفجر صلى ركعتي الفجر. عن عائشة (رضي الله عنها) كان النبي ﷺ يصلي من الليل احد عشر ركعة قوله تعالى (إن ناشئة الليل هي اشد وطأ). قال ابن عباس رضي الله عنه وابن الزبير اذ نشأت قائما فهي ناشئة الليل كله. وقال مجاهد:-الليل كله اذا قام يصلي فهو ناشئة وما كان بعد العشاء فهو ناشئة. قوله تعالى(أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلا) قال اجهد للبدن واثبت في الخير. وقال مجاهد واقوم قيلا، قال اثبت قراءة. وقوله تعالى



(وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلا)، قال مجاهد :_اخلص اليه اخلاصا. قال قتادة:_اخلص اليه الدعاء والعبادة وقيل الانقطاع الى الله وتأمل الخير منه دون غيره وقوله تعالى (سبحا طويلا)، قال قتادة:-فراغاً طويلا، قوله تعالى (هي اشد وطأ) قال مجاهد:- اطأ اللسان القلب مواطأة، ووطأة من قرأ وطأ قال معناها هي اشد من عمل النهار.

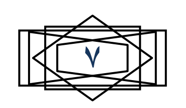
قوله تعالى (إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْراً وَأَعْظَمَ أَجْراً وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ).[1].

قال ابو بكر قد انتظمت هذه الاية معاني احدها انه نسخ به قيام الليل المفروض والثاني دلالتها على لزوم فرض القراءة في الصلاة بقوله تعالى (فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ) والثالث دلالتها على جواز الصلاة بقليل القراءة

والرابع انه من ترك قراءة فاتحة الكتاب وقرأ غيرها اجزاءه فان قيل انما نزل ذلك في صلاة الليل هي منسوخة، قيل انه انما نسخ فرضها ولم ينسخ شرائطها وسائر احكامها وايضا فقد امرنا بالقراءة بعد ذكر التسبيح بقوله تعالى (فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ) فان قيل فإنما أمر بذلك في التطوع فلا يجوز الاستدلال وجوبها في الصلاة المكتوبة. قيل له إذا ثبت وجوبها في التطوع فالفرض مثله لان احد لم يفرق بينهما. وأيضا قوله تعالى (فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ) يقتضي الوجوب لأنه أمر والأمر على الوجوب لا موضع يلزم قراءة القران إلا في الصلاة فوجب

---

[1] . سورة المزمل ، الاية ٢٠ .



المراد القراءة في الصلاة. فان قيل إذا كان المراد به قراءة صلاة التطوع في الصلاة نفسها ليست بفرض فكيف يدل على فرض القراءة.

قيل له إن صلاة التطوع وان لم تكن فرضا فان عليه إذا صلاها إن لا يصليها إلا بالقراءة ومتى دخل فيها صارت القراءة فرضا كما إن عليه استيفاء شرائطها من الطهارة وستر العورة وكما إن الإنسان ليس عليه عقد السلم وسائر عقود البيوعات ومتى ما قصد إلى عقدها عليه إن لا يعقدها إلا على ما أباحته الشريعة ألا ترى إلى قولهﷺ من اسلم فليسلم في كيل معلوم ووزن معلوم إلى اجل معلوم. وليس عليه عقد السلم ولكنه متى قصد إلى عقد فعليه إن يعقده بهذه الشرائط، فان قيل إنما المراد بقوله تعالى (فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ) الصلاة نفسها فلا دلالة على وجوب القراءة فيها وقيل له هذا غلط لأنه فيه صرف الكلام عن حقيقة معناه إلى المجاز وهذا لا يجوز الا بدلالة على انه لو سلم لك ما دعيت كانت دلالته قائمة على فرض القراءة لأنه لم يعبر عن الصلاة بالقراءة إلا هي من أركانها كما قال تعالى (إذا قيل لهم اركعوا لا يركعون)[1]. قال مجاهد اراد به الصلاة

وقال تعالى (واركعوا مع الراكعين)[2] والمراد به الصلاة فعبر عن الصلاة بالركوع لأنه من أركانها [3].

---

[1] . سورة المرسلات ، الاية ٤٨ .

[2] . سورة البقرة ، الاية ٤٣ .

[3] . احكام القران :الجصاص

ثمرات قيام الليل

ثمراته: دعوة تستجاب وذنب يغفر.. ومسألة تقضى.. وزيادة في الايمان والتلذذ بالخشوع للرحمن.. ونيل الطمأنينة.. واكتساب الحسنات.. ورفعة الدرجات.. والظفر بالنضارة والحلاوة والمهابة.. وطرد الداء من الجسد.

أخي.. فمن منّا مستغن عن مغفرة الله وفضله.. ومن منّا يزهد في تلك الثمرات والفضائل التي ينالها القائم في ظلمات الليل لله!

واليك أخي – توجيهات نبوية تحضك على نيل هذا الخبر: فعن عمرو بن عبيسة ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: {أقرب ما يكون الرب من العبد في جوف الليل الآخر، فإن استطعت أن تكون ممن يذكر الله في تلك الليلة فكن} رواه الترمذي وصححه.

وعن أبي أمامة الباهلي ﷺ قال: قيل يا رسول الله! أي الدعاء اسمع؟ قال: {جوف الليل الآخر، ودبر الصلوات المكتوبات} رواه الترمذي وحسنه.

وعن أبي هريرة ﷺ عنه أن رسول الله ﷺ قال: { ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا، حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: من يدعوني فأستجب له، ومن يسألني فأعطيته، فأغفر له} رواه البخاري ومسلم.

وعن عثمان بن أبي العاص عن النبيﷺ قال: { تفتح أبواب السماء نصف الليل فينادي مناد: هل من سائل فيعطى، هل من مكروب فيفرج عنه، فلا يبقى مسلم يدعو بدعوة إلا استجاب الله تعالى له، إلا زانية تسعى بفرجها، أو عشاراً} رواه الترمذي وحسنه.

ما يعينك على القيام

أولا: أقلل من الطعام: فإن كثرة الطعام مجلبة للنوم، ولا يخف قيام الليل إلا على من قل طعامه، ولقد بين رسول اللهﷺ حدود الشبع وآدابه فقال: {ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطنه، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه} رواه أحمد والترمذي، وهو صحيح الجامع برقم :٥٥٥٠.

قال عون بن عبد الله : كان قيّم لبني إسرائيل يقوم عليهم إذا أفطروا فيقول: لا تأكلوا كثيراً، فإن اكلتم كثيراً نمتم كثيراّ، وإن نمتم كثيراّ صلًيتم قليلا.

وقال عبد الواحد بن زيد: من قوي على بطنه قوي على دينه، ومن قوي على بطنه قوي على الأخلاق الصالحة، ومن لم يعرف مضرته في دينه من قبل بطنه فذاك رجل من العابدين أعمى.

وقال وهب بن منبه: ليس من بني آدم أحب إلى الشيطان من الأكول النوَام.

وقال سفيان الثوري: عليكم بقلة الأكل تملكوا قيام الليل.

وجدت الجوع يطرده رغيب

وملء الكف من ماء الفرات

وقل الطعم عون للمصلي

وكثر الطعم عون للسبات

ثانياً : الاستعانة بالقيلولة: فإن رسول اللهﷺ قد وجه إلى الاستعانة بها ومخالفة الشياطين بها، فقال: { قيلوا فإن الشياطين لا تقيل } رواه الطبراني وهو في السلسلة الصحيحة برقم : ٢٦٤٧.

ومرّ الحسن البصري بقوم فرأى صخبهم ولغطهم، فقال: أما يقيل هؤلاء؟ قالوا: لا، قال: إني لأرى ليلهم ليل سوء. وقال إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة: القائلة من عمل أهل الخير، وهي محبة للفؤاد، مقواة على قيام الليل.

ثالثاً: الاقتصاد في الكد نهاراً: والمقصود به عدم إتعاب النفس من لا ضرورة منه، ولا مصلحة راجحة، كفضول الأعمال والأقوال ونحوهما، أما ما يستعديه الكسب والحياة من الضروريات ولا غنى للمرء عن الكد لأجله فيقتصد فيه بحسب ما تتحقق به المصالح.

رابعاً: اجتناب المعاصي وتركها: فالمعصية تقعس عن الطاعة، وتوجب التشاغل عن العبادات، وتحرم المؤمن التوفيق إلى النوافل والفضائل، ولذلك تواتر عن السلف القول بأن المعاصي تحرم العبد من القيام.

قال رجل للحسن البصري: يا أبا سعيد: إني أبيت معافى، وأحب قيام الليل، وأعد طهوري فما بالي لا أقوم؟ فقال: ذنوبك قيدتك.

وقال الثوري: حرمت قيام الليل خمسة أشهر بذنب أذنبته. قيل: وما هو؟

ال: رأيت رجلاً يبكي، فقلت في نفسي: هذا مراء.

وقال رجل لإبراهيم بن أدهم: إني لا أقدر على قيام الليل فصف لي دواء؟

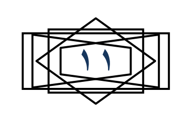
فقال: لا تعصه بالنهار، وهو يقيمك بين يديه بالليل، فإن وقوفك بين يديه في الليل من أعظم الشرف، والعاصي لا يستحق ذلك الشرف.

خامساً: سلامة القلب عن الأحقاد على المسلمين ومن البدع وفضول هموم الدنيا، فإن ذلك يشغل القلب ويضغط عليه فلا يكاد يهتم بشيء سواه.

سادساً: خوف غالب يلزم القلب مع قصر الأمل، فإنه إذا تفكر أهوال الآخرة ودركات جهنم طار نومه وعظم حذره.

سابعاً: أن يقف المسلم على فضائل القيام وثمراته فإنها تهيج الشوق وتعلي الهمة وتحي في النفس طمعاً في رضوان الله وثوابه.

ثامناً: وهو أشرف البواعث: حب الله وقوة الإيمان لأنه في قيامه لا يتكلم بحرف إلا وهو مناج به ربه ومطلع عليه، مع مشاهدة ما يخطر بقلبه، وأن تلك الخطوات من الله تعالى خطاب معه ، فإذا أحببت الله تعالى أحب لا محالة الخلوة به وتلذذ بالمناجاة فتحمله لذة المناجاة للحبيب على طول القيام.



هدي النبي ﷺ في قيام الليل

اختلف السلف والخلف في ان قيام الليل هل كان فرضا ام نفلا؟ والطائفتان احتجوا بقوله تعالى (مِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ) قالوا هذا صريح في عدم الوجوب، قال الاخرون أمره بالتهجد في هذه السورة كما أمر في قوله تعالى (يَا أَيُّهَا المز مل{١} قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلاً) ولم يجيء ما ينسخه عنه، واما قوله تعالى (نافلة لك) فلو كان المراد به التطوع لم يخصه بكونه نافلة وانما المراد بالنافلة الزيادة ومطلق الزيادة لا يدل على التطوع، قال تعالى (وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً) أي زيادة على الولد كذلك النافلة في تهجد النبيﷺ زيادة في درجاته وفي أجره ولهذا خصه بها فأن قيام الليل في حق غيره مباح ومكفر للسيئات واما النبي ﷺ فقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر فهو يعمل في زيادة الدرجات وعلو المراتب. قال مجاهد: انما كان نافلة النبي ﷺ لانه قد غفر ماتقدم من ذنبه وما تاخر فكانت طاعته نافلة أي زيادة في الثواب ولغيره كفارة لذنوبه.

وذكر سليمان بن حبان حدثنا ابو غالب حدثنا ابو إمامة قال اذا وضعت الطهور موضعه قمت مغفوراً لك فان قمت تصلي كانت لك فضيلة وأجر، فقال رجل يا ابا أمامة أرايت ان قام يصلي يكون له نافلة؟

قال :_لا إنما النافلة للنبي ﷺ فكيف يكون له نافلة؟! وهو يسعى في الذنوب والخطايا، يكون له فضيلة وأجر قلت:-والمقصود ان النافلة في الاية لم يرد بها ما يجوز فعله وتركه كالمستحب والمندوب وانما المراد بها الزيادة في الدرجات وهذا قدر مشترك بين الفرض والمستحب فلا يكون قوله نافلة لك نافيا لما دل عليه الامر في الوجوب ولم يكن النبي ﷺ يدع قيام الليل حضرا ولا سفرا وكان إذا غلبه نوم او رجع صلى من النهار اثنتي عشر ركعة[١] وعن عائشة (رضي الله عنها) قالت ان

١. زاد المعاد .ابن قيم الجوزية

الله جعلـه تطوعـا بعد ان كـان فرضـا، قيـل: كـان فرضـا قبـل ان تفـرض الصـلوات الخمسة ثم نسخ بهن الا ما تطوعوا به. وعن الحسن: كان قيام ثلث الليل فريضة وكانوا على ذلك سنة وقيل كان واجبا، وانما وقع التخيير في المقدار ثم نسخ بعد ذلك.

عن الكلبي:_كان يقوم الرجل يصبح مخافة ان لا يحفظ ما بين النصف والثلثين، ومنهم من قال كان نفلا بدليل التخيير في المقدار ولقوله تعالى (وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُوداً)الإسراء٧٩.[١] ان قوله تعالى (قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلاً) فيه ثلاثة اقوال:

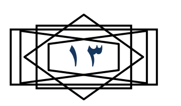
القول الاول :_ان هذا ليس بفرض يدل على ذلك لان بعده (نصفه او انقص منه قليلا)وليس كذلك تكون الفروض.

القول الثاني:انه منسوخ،نسخه اخرالسورة وهذا قول ابن عباس رضي الله عنه القول الثالث :انه كان فرضا فالمخاطب به النبي ﷺ ولم يقل قوموا .[٢]

---

[١] . الكشاف .الزمخشري

[٢] . اعراب القران .النحاس



اثر قيام الليل على الفرد والمجتمع

هنالك من يقضي الليل في طاعة الله، وهناك اخرون يقضونه في نوم عميق الى الصباح، وهناك من يسهرون في اللهو والمجون وعبث حتى قرب الفجر نام ولم يقم الا في الضحى او في الظهر، واخرون يعب من الشهوات ويقارف المنكرات لا يخشى خالقا ولا يستحي من مخلوق. وهناك من لاهم له إلا الاكل والشرب والنوم فنهاره شراب وطعام وليله رقود ومنام على نحو ماقال الشاعر:

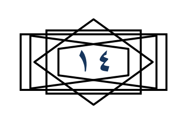
انما الدنيا طعام وشراب ومنام

فاذا فاتك هذا فعلى الدنيا السلام

أما اولئك الذين يقومون الليل في الطاعة والعبادة لله تعالى فيشمرون عن سواعدهم ويحاولون ان يقوموا الليل كله، والنبي ﷺ يردهم الى الاعتدال حتى يداوموا عليه ويقول ﷺ (أحب الاعمال الى الله أدومها وإن قل). متفق عليه.

وهذا كان حال السلف الصالح احراراً وعبيداً، حرائر وايماء، رجالاً ونساءاً. مرّ ابو حنيفه (رحمه الله) ـ كان يقوم بعض الليل ـ على قوم فقال بعضهم وأشاروا إليه هذا هو الرجل الذي يحي الليل كله. فقال:ـ والله اني لأستحي من الله ان اوصف بما لا أفعل، فكان بعد ذلك يحي الليل كله.

ومن لم يستطع ان يكون له حظ من الليل لا نصف ولا ثلث ولا سدس فليحرص على ان يصلي العشاء والصبح في جماعة، فأن النبي ﷺ قال: (من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف ليله، ومن صلى الفجر في جماعة فكأنما قام الليل كله) رواه مالك ومسلم، لقد فسد على الناس نظام حياتهم، كان الناس من قبل ينامون مبكرين ويستيقظون مبكرين فلما جاءت الاجهزة الحديثة، اجهزة الاعلام والافلام والمسلسلات التي تسهر الناس الى مابعد نصف الليل هذا وينبغي ان تكون الصلاة هي المنظم لحياة المسلمين ولمواعيد يقظتهم ومنهم ان يستقبلوا الصباح



الباكر من يد الله طهوراً قبل إن تلوث أنفاس العصاة، ففي الحديث الشريف (اللهم بارك لآمتي في بكورها) رواه الأربعة.

وذكر إن النبيﷺسئل عن رجل نام حتى أصبح؟ قال: (ذلك رجل بال الشيطان في أذنيه) رواه مالك ومسلم.

وما أكثر الذين جعلوا من آذانهم مباول للشيطان. ان الذي يعين الناس على قيام الليل كما قال الامام الغزالي (رحمه الله)ان يتخففوا من المأكل والمشرب .

وقد قال بعض الصالحين: لا تأكلوا كثيراً فترقدوا كثيراً فتتحسروا عند الموت كثيراً ومما يعين الانسان على قيام الليل ان لا يجهد نفسه بالنهار فلا يستطيع القيام با لليل، وأن يستعين بالقيلولة على قيام الليل كما ورد في الاثر حيث قال ابن عباس ﷺ استعينوا بطعام السحر على صيام النهار وبالقيلولة على قيام الليل).

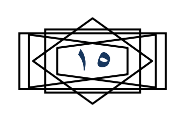
دخل الحسن البصري (رحمه الله) السوق فوجد أهله في شغل شاغل بدنياهم وعجب من لغطهم ولغوهم فقال:- ماأظن ليل هؤلاء إلا ليل سوء فانهم لايقيلون. إن على الانسان ان يبتعد عن الحرام وأن يتجنب الذنوب، قال سفيان الثوري (رحمه الله):- حُرمت قيام الليل بذنب ارتكبته، قيل:- وما ذاك الذنب؟

قال:. رأيت رجل يبكي فقلت في نفسي :. هذا تراه يرائي الناس.

وقال رجل للحسن يا أبا سعيد اني أبيت معافى وأحب قيام الليل وأعد طَهوري فما بالي لا أقوم؟ قال:- لعل لك ذنوباً قيدتك. فعلى الانسان المسلم الذي يريد أن يتشبه بهؤلاء عليه ان يتذكر الاخرة والموت وما بعده ويتذكر الجنة والنار.

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم   أن التشبه بالرجال فلاحُ

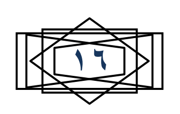
قال طاووس:. إن ذكر جهنم طيّر النوم من أعين العابدين ويرجون رحمة الله تعالى. ويقول المصطفى ﷺ (عليكم بقيام الليل فانه دأب الصالحين قبلكم، وقربة



الى ربكم، ومكفر للسيئات ومنهاة عن الاثم) رواه الترمذي، هذا وإن قيام الليل يبدأ بعد صلاة العشاء الى صلاة الفجر وعلى المسلم ان يستفيد وأن لايضيع حظه من الليل فكما قال بعض السلف:ـ اذا لم يكن لك حظ من الليل فلا تعصي ربك في النهار.

وقال النبي ﷺ (رحم الله رجلاً قام من الليل فصلى وايقظ امراته فان ابت نضح في وجهها الماء ورحم الله امرأة قامت من الليل فصلت وايقظت زوجها فان أبى نضحت في وجهه الماء) رواه ابو داود ولاشك إن هذا النضح هو الرش الخفيف من باب الممازحة فهما متفقان على طاعة الله تعالى ولا يحب أحدهما ان ينفرد بالخير دون الاخر.

إن الأسرة المسلمة هي التي تعيش في ظلال الرحمن ومرضاة الله تعالى ويعين كل منهما صاحبه على تقوى الله تعالى ونعمة الزوجة تعين زوجها على أمر دينه ونعم الرجل يعين زوجته على طاعة الله تعالى.



أحاديث نبوية في التهجد وقيام الليل

١. روي عن أبـي هريـرة ﷺإن رسـول الله ﷺ قـال (أفضـل الصـلاة بعـد الفريضـة صلاة الليل)[1].

٢.عن بلال ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ (عليكم بقيام الليل فانـه دأب الصالحين من قبلكم وقربـة الـى الله تعالى ومنهـاة عن الاثـم وتكفير السيئات ومطردة للـداء من الجسد) [2].

٣.عن ابي مالك الاشعري ﷺ ان النبيﷺ قال: (إن في الجنة غرفًا يرى باطنهـا من ظاهرهـا، وظاهرهـا مـن باطنهـا، اعدها الله لمـن أطعم الطعام وألان الكـلام، وتـابع الصيام وقام الليل والناس نيام)[3]

فــي المعانــي والتفســير

معاني بعض المرادفات

١. المزمل: المتزمل في ثيابه، أُدغم التـاء فـي الـزاي، قريبـة المخـرج من المتزمـل وهو أندى في المسموع من التاء، وكل شيءً لُغف فقد زُمل.

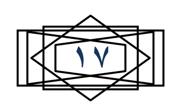
٢.رتـل القـران تـرتيلا: قـال ابـن عبـاس ﷺ بينـه تبيينـا وقـال طـاووس بينـه حتـى تفهمـه، وقـال مجاهد قـال: وآل بعضـه علـى أثـر بعض تـؤده، والترتيـل قيـل ترتيـب

---

[1] . قال الترمذي _ حديث حسن وهو بعض ما اخرجه مسلم وابو داود.

[2] . اخرجه احمد والبيهقي والترمذي والحاكم على شرط البخاري .

[3] . اخرجه احمد وابن حبان والبيهقي .



الحروف على حقها في تلاوتها، والحد هو الاسراع فيها وكلاهما حسن ألا ان الترتيل هنا هو المرغوب فيه.

٣. السّبح: المر السريع في الماء، وفي الهواء يقال سبح سبحًا وسباحة ويقال لسرعة الذهاب الى العمل. وقيل سبحاً: تصرفاً وتقلباً في مهماتك وشواغلك.

٤.تبتل: مصدر تبتل: إنقطع في العبادة واخلاص النية انقطاعاً يختص به واخلص لله اخلاصاً في صلاته ودعائه وعبادته.

٥.مهيلاً كثيبا: أي ان الجبال ستكون رملاً مجتمعاً سائلاً بعد اجتماعه وهو من هال يهيل واصله مهيول.

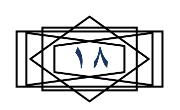
٦.هو اشد وطأ: قال مجاهد واطأ اللسان القلب مواطأة ووطأ من قرأ وطأ قال: معناه هي اشد من عمل النهار.

٧.وان تقوم الليل نصفه: النصف أحد قسمي الشيء المساوي للاخر في المقدار.

٨.القيام: الانتصاب للصلاة، ومنه تنشأ السحاب لحدوثه في الهواء وترتيبه شيئاً فشيئاً.

٩.نِكالاً: جمع نكِل بكسر النون ناراً محرقة.

١٠.الزقوم : طعام يغص في الحلق او شوك من نار لايخرج ولاينزل وهذا يكون مؤلماً اكثر.



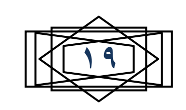
تفســير الســورة

السـورة بشـطريها تعـرض صـفحة مـن تـاريخ الـدعوة الاسـلامية، وتبـدأ بالنـداء العلوي الكريم بالتكليف العظيم، وتصور الاعداد والتهيئة بقيام الليل والصلاة، وترتيل القران، والذكر الخاشع المتبتل والآتكال على الله وحده، والصبر علـى الاذى، والـهجر الجميل للمكذبين، وتنتهي بلمسة الرفق والرحمة والتخفيف اليسير والتوجه للطاعات والقربـات والتلـويح برحمـة الله ومغفرتـه (إن الله غفـور رحـيم) وهـي تمثـل بشـطريها صفحة من صفحات ذلك الجهد الكريم النبيل الذي بذلـهُ الرهط المختـار مـن البشـر – البشرية الضـالة – ليردهـا الـى ربهـا ويصبر علـى اذاهـا ويجاهـد فـي ضمائرها، وهو متجرد من كل مافي الحياة من عرض يغري ولذة تلهي ورائحة ينعم بها الخليون ونـوم يتلذذه الفارغون.

والان نستعرض السورة في نصها القرأني الجميل .

بسم الله الرحمن الرحيم

(يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ{١} قمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلاً{٢} نِصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْـهُ قَلِيلاً{٣} أَوْ زِدْ عَلَيْـهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً{٤} إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً{٥} إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْءاً وَأَقْوَمُ قِيلاً{٦} إِنَّ لَكَ فِي النَّـهَارِ سَبْحاً طَوِيلاً{٧} وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً{٨} رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلاً{٩} وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِيلاً{١٠} وَذَرْنِـي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِـي النَّعْمَـةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلاً{١١} إِنَّ لَـدَيْنَا أَنكَـالاً وَجَحِيماً{١٢} وَطَعَاماً ذَا غُصَّةٍ وَعَذَاباً أَلِيمـاً{١٣} يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَـتِ الْجِبَالُ كَثِيباً مَّهِيلاً{١٤} إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولاً شَاهِداً عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ

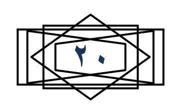


رَسُولاً{١٥} فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذاً وَبِيلاً{١٦} فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْماً يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيباً{١٧} السَّمَاء مُنفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولاً{١٨} إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاء اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً{١٩} إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْراً وَأَعْظَمَ أَجْراً وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ{٢٠})

(صدق الله العظيم)

يأمر تعالى رسوله ﷺ ان يترك التزمل وهو التغطي في الليل وينهض الى القيام [١] ، وكان رسول الله ﷺ نائماً بالليل متزملا في قطيفته، فنبه ونودي بما يهجن اليه الحالة التي كان عليها من التزمل في قطيفته واستعداده للاستثقال في النوم. وعن عائشه (رضي الله عنها) انها سألت ما كان تزميله؟ قالت: كان مرطاً طوله اربعة عشر ذراعا نصفه عليّ وانا نائمة ونصفه عليه وهو يصلي. فسُئلت ما كان؟ قالت: والله ماكان خزاً ولا قزاً ولا مرعزى ولا ابريسماً ولا صوفاً، كان سداه شعراً ولحمته وبراً [٢].

[١] تفسير القران العظيم –ابن كثير
[٢] الكشاف +الزمخشري



أمر الله سبحانه وتعالى رسوله الكريم ﷺ إن يقوم نصف الليل بزيادة قليلة او نقصان قليل، لاحرج عليك في ذلك، وكان تخييراً بين ثلاثة: بين قيام الليل النصف بتمامه وبين قيام الناقص منه وبين قيام الزائد عليه.

ثم اقرأ القران على تمهل فانه يكون عوناً على فهم القران وتدبره وحقيقة الترتيل في كلام العرب يعني تلبث في قراءته وافصل الحرف عن الحرف الذي بعده ولا تستعجل فيدخل بعض الحروف في بعض.

إن القران وما فيه من الأوامر والنواهي التي هو تكاليف شاقة ثقيلة على المكلفين، خاصة على رسول الله ﷺ لأنه متحملها بنفسه ومحملها أمته، فهي اثقل عليه وابهض له وإن ما كلفة من قيام الليل من جملة التكاليف الثقيلة الصعبة التي ورد بها القران لأن الليل وقت السبات والراحة والهدوء فلابد لمن أحياه من مضادة لطبعه ومجاهدة لنفسه. هذا وإن قيام الليل هو اشد مواطأة بين القلب واللسان واجمع على التلاوة أي أجمع للخاطر في إداء القراءة وتفهمها من قيام النهار لانه وقت إنتشار الناس ولغط الاصوات واوقات المعاش [1].

وإن الصلاة ناشئة الليل هي اكثر مما يواطىء في ساعات النهار لأن البال افرغ لإنقطاع كثير مما يشغل بالنهار وان الليل للسكون.

وقيل لعائشة (رضي الله عنها) : رجل قام من اول الليل، اتقولين له قام ناشئة؟ قالت: _لا ، إنما الناشئة القيام بعد النوم، ففسرت الناشئة بالقيام عن المضجع او العبادة تنشأ بالليل أي تحدث وترتفع وقيل هي ساعات الليل كلها لأنها تحدث واحدة بعد اخرى وقيل الساعات الاولى منها .[2]

[1] تفسير القران العظيم _ابن كثير

[2] الكشاف –الزمخشري

ولإنتشار الهم وتفوق القلب بالشواغل كلفه بقيام الليل ثم ذكر الحكمة فيما كلفه منه وهو ان الليل اعون على المواطأة واشد للقراءة لهدوء الرجل وخفوت الصوت وأنه اجمع للقلب واضم لنشر الهم من النهار ولأنه وقت تفرق الهموم وتوزع الخواطر والتقلب في حوائج المعاش والمعاد.

وقيل ان فاتك من الليل شيءً فلك في النهار فراغ تقدر على تداركه فيه[1]

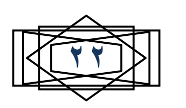
هذا ويقول تعالى أمراً رسوله ﷺ بالصبر على مايقوله من كَذبه، من سفهاء قومه ان يهجرهم هجراً جميلاً وهو الذي لا عتاب معه ثم قال له متهدداً لكفار قومه ومتوعداً ، وهو العظيم الذي لا يقوم لغضبه شيء – ثم دعني والمكذبين المترزكين اصحاب الاموال فأنهم على الطاعة اقدر من غيرهم وهم يطالبون من الحقوق بما ليس عند غيرهم [2] .هذا وذكر إنه لدينا قيوداً ثقالاً وطعاماً يغص به الحلق وشوك من نار ويكون مؤلماً زيادة لمن كَذب النبي ﷺ ، وستزلزل الارض وإن الجبال ستكون رملاً مجتمعاً سائلاً ، وان محمداً ﷺ نشأ بين قومه في مكة ، كما نشأ موسى بين فرعون وقومه في مصر ، فلما ارسل الله سبحانه وتعالى محمداً ﷺ الى قومه سخروا منه وكذبوه ، كما سخر فرعون وقومه بموسى وكذبوه حينما ارسله الله اليهم، وقد هدد الله سبحانه وتعالى كفار قريش بأن محمداً ﷺ هو الذي سيشهد يوم القيامة على المكفرين والمكذبين كما ذكرّهم بأن فرعون لما كذّب موسى وعصاه وسخر منه إنتقم الله منه انتقاماً شديداً واذاقه عذاباً وبيلاً .

وقد وبخ الله تعالى الكفار لبقائهم على الكفر، بأنهم لن يستطيعوا ان يحموا أنفسهم من اهوال يوم القيامة، ذلك اليوم الذي يشتد فيه الكرب وتشيب فيه نواصي الاطفال، وتتصيع من شدته السماء ويكون ماوعد الله به من الحساب والجزاء حاصلاً لاريب فيه لأنه وعد من الله، والله لايخلف الميعاد وإن تذِكر الكفار بما اصاب فرعون من

---

[1] الكشاف _الزمخشري

[2] تفسير القران العظيم _ابن كثير



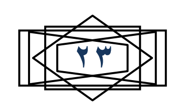
سوء العاقبة في الدنيا، وبما اعد لهم من عذاب الِم في الاخرة انما هو للغطة والذكرى، وتنبيه من الله تعالى الى إنه واسع المغفرة ايضاً، فمن اراد ان يسلك السبيل الى رضاه ورحمته فليبادر الى الايمان به وليأخذ الطريق الى طاعته[1].

والان يجيء شطر السورة الثاني في أية واحدة طويلة، نزلت بعد مطلع السورة بعام على ارجح الاقوال، انها لمسة التخفيف الندية، تمسح على التعب والنصب والمشقة ودعوة التيسير الالهي على النبي ﷺ والمؤمنين. وقد عِلم الله منه ومنهم خلوصهم له ، وقد انتفخت اقدامهم من القيام الطويل للصلاة بقدر من القران الكبير.

وما كان الله يريد لنبيه أن يشقى بهذا القران وبالقيام انما كان يريد ان يعده للأمر العظيم الذي سيواجهه طوال مابقى له من الحياة هو والمجموعة القليلة من المؤمنين الذين قاموا معه وفي الحديث مودة وتطمين وان قيامك وصلاتك انت وطائفة من الذين معك قُبلت في ميزان الله. ان ربك يعلم انك وهم تجافت جنوبكم عن المضاجع وتركت دفء الفراش في الليلة القاسية ولم تسمع نداء الضاجع المغري وسمعت نداء الله ، وان ربك يعطف عليك ويريد ان يخفف عنك وعن اصحابك، ويطول الليل ويقصر وانت ومن معك ماضون تقومون ادنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وهو يعلم ضعفكم من الموالاة وهو لايريد أن يعنتكم ولا أن يشق عليكم إنما يريد لكم الزاد وقد تزودتم فخففوا على أنفسكم وخذوا الامر هينا.

واقرؤا القران في قيام الليل بلا مشقة ولاعنت، والله لا يريد ان تدعوا امور حياتكم وتنقطعوا للعبادة والشعائر انقطاع الرهبان وقد علِم الله أن سيأذن لكم في الانتصار من ظلمكم بالقتال ولإقامة راية الاسلام في الارض يخشاها البغاة فخففوا على انفسكم واستقيموا على فرائض الدين وتصدقوا بعد ذلك فرضاً لله يبقى لكم خيره واتجهوا الى الله مستغفرين عن تقصيركم فالانسان يقصر ويخطىء فمهما جد وتحري الصواب،

[1] القران الكريم وتفسيره



أنها لمسة الرحمة والود والتيسير والطمأنية تجيء بعد عام من الدعوة الى القيام ، ولقد خفف الله عن المسلمين فجعل قيام الليل لهم تطوعاً لا فريضة.

اما رسول الله ﷺ فقد مضى على نهجه مع ربه لا يظل قيامه عن ثلث الليل، يناجي ربه خلوة من الليل وهدأه ويستمد من هذه الحضرة زاد الحياة وزاد الجهاد على أن قلبه ماكان ينام وإن نامت عيناه فقد كان قلبه ﷺ دائماً مشغولاً بذكر الله متبتلاً لمدلاه وتفرغ قلبه من كل شيء الا من ربه على ثقل ما يحمل على عاتقه وعلى مشقة مايعاني من الاعباء الثقال .[1]

---

[1] في ضلال القران – سيد قطب

قالوا في قيام الليل

مجنون

قال إبن حبلة السادي :- رأيت بالكوفة مجنوناً قد تمنطق بمنطقة عريضة عليها مكتوب:

حبّ ذي العرش سناء وشرف وهدايا وعطاء وتحف

فتهجدٍ في دجى الليل له لترى منه اعاجيب اللطف

ركعات في جوف الليل

توفي سيد الصوفية في عصره الجنيد (رحمه الله) فرأه بعض اصحابه في المنام، فسأله عن حاله، فقال له :- ذهبت الاشارات وطاحت العبارات، وضاعت العلوم، وفنيت الرسوم ولم ينفعنا الا ركعات كنا نقوم بها في جوف الليل[١].

الغلام والليل

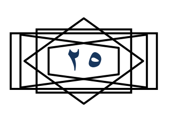
ان الذين يقومون الليل يحذرون الاخرة ويرجون رحمة ربهم، وكان لبعض السلف غلام خادم عندهم فكان يقوم الليل، فقال له مولاه : ان قيامك الليل يؤثر على عملك في النهار.

قال: وماذا اعمل ؟ اني اذا تذكرت الجنة طال شوقي وإذا تذكرت النار طال خوفي، فكيف لي ان انام بين خوف يزعجني وشوق يقلقني؟[٢]

---

[١] خطب الشيخ القرضاوي – الجزء الثا ني

[٢] خطب الشيخ القرضاوي –الجزء الثاني



عجب ربنا تعالى من رجلين

روى الامام أحمد (رحمه الله):_ عن ابن مسعود ﷺعن النبيﷺ ، انه قال:– عجب ربنا تعالى من رجلين، رجل ثار من وطئه ولحافه من بين اهله وحبه الى صلاته، فيقول الله جل جلاله: انظروا الى عبدي ثار من فراشه ووطئه من بين حبه واهله الى صلاته رغبة فيما عندي وشفقه مماعندي.

ورجل غزا في سبيل الله وانهزم اصحابه وعلم ما عليه في الانهزام وما له من الرجوع، فرجع حتى يهريق دمه، فيقول الله تبارك وتعالى انظروا الى عبدي رجع رجاء ماعندي وشفقه مما عندي حتى يهريق دمه[١].

من قصائد ابن الرومي

وصف الشاعر ابن الرومي الذين يقومون الليل ويستغفرون بالاسحار بهذه الابيات الشعريه :

تتجافى جنوبهم	عن وطىء المضاجع
كلهم بين خائف	ومستجير وطامع
تركوا لذه الكرى	للعيون الهواجع
ورعوا انجم الدجى	طالعًا بعد طالع
لو تراهم اذا هم	خطروا بالاصابع
واذا هم تأ وهوا	عند مر القوارع
فأذا باشروا الثرى	بالخدود الصرع
واستهلت عيونهم	فائضات المدامع[٢]

---

[١] المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب –المنذري

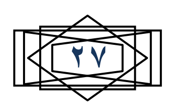
[٢] ديوان ابن الرومي _الجزء الرابع

بعض اقوال العابدين

١. قيل للحسن البصري (رحمه الله): مابال المتهجدين من احسن الناس وجوهاً ؟ قال: لانهم خلوا بالرحمن فألبسهم نوراً من نوره .

٢. كان الصحابي أويس القرني ﷺ: لا ينام الليل ويقول ما بال الملائكة لايفترون ونحن نفتر.





المصادر

ما بعد القران الكريم

١. أحكام القران – ابو بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص (ت ٣٧٠ هـ) الجزء الثالث – دار الفكرللطباعة والنشر والتوزيع .

٢. اسباب النزول وبهامشه الناسخ والمنسوخ – الشيخ الامام ابو الحسن علي ابن أحمد الواحدي النيسابوري – عالم الكتب –بيروت – لبنان .

٣. اعراب القران–ابو جعفر احمد بن محمد بن اسماعيل النحاس (ت٣٣٨ هـ) الجزء الثالث – مطبعة العالي – بغداد.

٤. تفسير القران العظيم – ابو الفداء اسماعيل بن كثير (ت ٧٧٤هـ) – المجلد الرابع – الطبعة الثانية – ١٩٩٨–دار الفيحاء– دمشق – سوريا .

٥. تفسير الجلالين – جلال الدين السيوطي – الطبعة الرابعة –١٩٨٧ – بغداد .

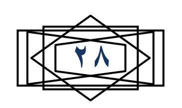
٦. تنوير المقياس من تفسير بن عباس– محمد بن يعقوب الفيروزابادي – الطبعة الثانية مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني – القاهرة .

٧. خطب الشيخ القرضاوي – يوسف القرضاوي – الجزء الثاني – مؤسسة الرسالة .

٨. ديوان ابن الرومي – الجزء الرابع – طبعة دار الكتب المصرية .

٩. زاد المعاد في هدي خير العباد خاتم النبيين وامام المرسلين – ابن قيم الجوزية – الجزء الاول – المؤسسة العربية للطباعة والنشر –بيروت – لبنان .

١٠. صفوة البيان لمعاني القران – الشيخ حسنين محمد مخلوف – الطبعة الثالثة – ١٩٨٧ .



١١. عقلاء المجانين – ابي القاسم الحسن بن محمد بن حبيب النيسابوري (ت٤٠٦هـ) – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان .

١٢. فضيلة التهجد وادعية قيام الليل – سعد محمد قاسم – بغداد – ١٩٨٩.

١٣. في ظلال القران – سيد قطب – الطبعة الاولى – دار احياء الكتب العربية .

١٤. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل – الامام محمد بن عمر الزمخشري (ت ٥٢٨هـ) – الجزء الرابع – دار الكتاب العربي – الطبعة الثالثة – ١٩٨٧ بيروت – لبنان .

١٥. مجمع البيان في تفسير القران العظيم – الشيخ ابو علي الفضل بن الحسن الطبرسي – المجلد الخامس دار احياء التراث العربي – بيروت – لبنان .

١٦. المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب – ابو منذر النيسابوري .

المحتويات

